التعايش في ظلّ التنوّع الديني

مُنتدى أمريكا والعالم الإسلامي

9 – 2014/6/11م

الأستاذ الدكتور/ يوسف محمود الصدّيقي

العميد المُساعد للشؤون الأكاديميّة

مفهوم التعايش في الدين الإسلامي:

عندما نتحدّث عن مسألة التعايش في ظلّ التنوّع الديني فإننا ننطلق فيه عقدياً من قاعدة ضرورة أن نعي طبيعة التفاعُل المُجتمعي الذي يجب أن ينقل الإنسان من حيّز السلبيّة وعدم التفاعُل مع المُجتمع الإنساني الشامل والمُتنوّع في أيديولوجيّته وأديانه وقوميّاته إلى دائرة البناء الفعّال المُنتج والمُشارك والذي يتقاسم الخير على قاعدة التناصُح والتواصي بين الإنسانيّة من يهود إلى مسيحيين إلى أصحاب ديانات وضعيّة، مثل البوذيّة والبرهميّة والكونفوشيّة والزرادشتيّة والصابئة والهندوسيّة والسيخيّة.

ما المطلوب من المُسلم:

والمُسلم الحق الواعي لأحكام دينه اجتماعي بطبعه، ومُنفتح على غيره بحكم قيمه ومبادئه، لأنه صاحب رسالة في الحياة، فالمُسلم مدعو بنّ الدين إلى أن يلتزم حدود الله في سلوكه الاجتماعي ومُعاملته للناس جميعاً أيّاً كانت ديانتهم وأيديولوجيّاتهم.

وعلى هذا الأساس فقط يُمكن فهم طبيعة الأخلاق الاجتماعيّة الإسلاميّة التي يُقيم في ضوئها التواصُل الاجتماعي ويُبشر بها بديلاً عقديّاً.

إن حياة الفرد لا تستقيم إلا في جماعة الناس تحقيقاً لسنة التدافع وهذا أصل الدين وغاية الشرائع التي بشّرت بخير الإنسانيّة.

والتعايش في ظلّ التنوّع الديني هو التواصُل الإيجابي النافع الذي يجعل من أفراد المُجتمع كتلة مُوحّدة وفاعلة تتجاوز الخصائص التكوينيّة في سبيل بناء أرحب وأعمق يجعل من خصوصيّات الهويّة المُميّزة لكل أمّة عامل تنوّع وإثراء لصياغة نمط مُجتمع جديد يستوعب الأفراد والجماعات المُختلفة في اتجاهاتها ودياناتها.

وبناء على هذا الفهم يتمّ التعامل مع أصحاب الديانات والطوائف والقوميّات بالمُتفق عليه على قاعدة أن يُحافظ الكل على خصوصيّته الذاتيّة والتي تضفي على البناء الثقافي والحضاري سمة التعدديّة والتنوّع لا الاختلاف والتناقض والقطيعة.

مُبرّرات التعايش في ظلّ التنوّع الديني:

إن العلاقة بين الأفراد والجماعات والأمم وأصحاب الديانات لا تسلم ولا تنجو من حالة الجمود والانغلاق والحذر الدائم من الآخرين إلا إذا بُنيت على أسس متينة من التواصُل والتحاور التي تبني جسور المُكاشفة وترسّخ الثقة مبدأ وقيمة، وتشكل وعي المُجتمع وعندما نترجم مبادئ الأخوة والمُساواة والعدالة إلى أعمال حيّة تزول حواجز التعصّب ويزول الظلم والشعور بالغبن والقهر المُقنن، فإن السلام المُجتمعي الإنساني ينشر ظلاله ويستوعب الكل بلا تمييز أو اصطفاء جائر على أسس مغلوطة من الدين، أو تقديرات بشريّة قاصرة ممّا من شأنه أن يكون مُؤدّياً بخراب الاجتماع العُمراني على رأي ابن خلدون، وهذا ما ينبغي أن نعترف به وهو أننا ما نبنيه من جسور الثقة والتعاون والتعارف والتعايش في ظلّ التنوّع الديني والأقليّات القوميّة والطائفيّة، تأتي القوى السياسيّة المُهيمنة على العالم وتهدمه بشكل مُستمرّ ومُمنهج في ظلّ القاعدة البرجماتيّة النفعيّة في ظلّ هذا العمل نقول للإنسانيّة وللعُلماء المُخلصين لله دركم.

ورغم هذا الخراب السياسي المُدمّر للإنسانيّة نقول نحن معشر المُسلمين التعايش في ظلّ التنوّع الديني مُلزم لعدّة اعتبارات منها ما يلي:

1 – إنها ضرورة شرعيّة باعتبار أن ما لا يتمّ الواجب به فهو واجب، وعلى أرضيّة أن التعارف والتعايش لا يتمّ إلا بمُخالطة ومُعاونة ومُعاملة الناس بالحُسنى.

2 – ضرورة عمليّة: إذ أن حياة الناس لا تستقيم إلا بالتواصُل والتعارُف وكسر الحواجز النفسيّة لمعرفة الآخر والوقوف على ما لديهم من أفكار أو مواقف أو نزعات، الذي في نهاية أمره يُحقق التآلف والتكاتف والتعارُف ومُحاولة تجاوز عُقدة الانكفاء والالتفات حول الذات، والتمركز حولها، والمُسلم هنا مأمور أن يتجه بكليّاته نحو البشر جمعاء، ويكفينا إن رجعنا إلى التاريخ نجد أننا قد انفتحنا على العالم بفنه وعُلومه ومعارفه وفلسفاته، وساهمنا بجدارة في الحضارة الإنسانيّة فلسفة وعلماً واقتصاداً وسيادة.

3 – ومن اعتبارات التعايش في ظلّ التنوّع الديني أنه ضرورة وجوديّة، ذلك أن التعايش في ظلّ التنوّع الديني مُرتبط بمُستقبل الحُضور والتواجُد الإسلامي في النظام العالمي الجديد القائم على الكونيّة والذي يسير بوتيرة سريعة النغمات والأيديولوجيّات التي تصارع بها البعض وفلسفاتها وأطروحاتها المنطقيّة واللامنطقيّة.

وكل هذا يتطلب منا إحقاق الحق والوقوف في وجه العُدوان والظلم، وهذه هي مسؤوليّة الإنسانيّة جميعاً، إنسانيّة العدل والحق المُتخذ من التعايش في ظلّ التنوّع الديني سنداً وعضداً ومُدركاً أننا بادياننا وأيديولجيّاتنا المُتعدّدة والمُتنوعّة شركاء في هذا الكوكب وأن على الكل أن يعمل لصالح الكل لا لصالح الذات والأنا النفعيّة.

وفي الختام

وفي كلمة أخيرة إذا أردنا الخلاص والإخلاص في إرساء روح وروح التعايُش بين أتباع الأديان قاطبة بأيديوجيّاتهم وقوميّاتهم علينا أن نخرج من هذه الدائرة المُغلقة، أو من القاعات المُغلقة ذات النجوم الخمسة التي نتحدّث فيها إلى بعضنا البعض، بينما في الخارج يتقاتل أصحاب الديانات والطوائف المُختلفة ونحن نجلس أمام التلفاز واليوتيوب ونتفرّج على قتل المسيحي للمُسلم والعكس وكيف أن الشيعي يقتل السني والعكس وخذ قائمة طويلة وعريضة لا أول لها ولا آخر.

إذا أردنا أن نخلص الإنسانيّة من هذه الآلام علينا أن نخرج إلى المُجتمع المدني الحق لا المُوجّه لغايات سياسيّة، وأن نعتمد على الشخصيّات المُخلصة والصادقة والتي تحسّ بألم المُتألمين، مثل شخصيّة الأمير الوالد صاحب السمو الشيخ حمد بن خليفة صاحب الأيادي البيضاء في فعل الخير حفظه الله، شخصيّة تشعر بألم المُتألمين، وشأنه شأن المُخلصين الذين يعملون على قاعدة التعايُش والسلم والآخاء بين الإنسانيّة جميعاً.

وكذلك علينا أن نضع الخطط والاستراتيجيّات الهادفة إلى حلّ النزاعات، ووقف القتال بين أتباع الأديان والقوميّات والطوائف، وأن تكفّ القوى السياسيّة عن إثارة طرف على طرف، أو تقوية طرف على طرف، وأن نعمل في الوقت ذاته على رفع الأسباب والظروف التي تؤدّي إلى العُنف بين أتباع الأديان والقوميّات، هذا هو طريق الخلاص إذا أردناه.

وشكراً لكم،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،،